فالخفقان المقصود هو خفقان قلب الارض ذاته الذي لا يحول تعبه دون ان تحلق ضرباته من اعماق صدر الارض مطوفة في ذرات الرمل قبل ان تعبر الى خلايا ابي قيس ذاته ٠

فاذا بنا ازاء علاقة متعددة الابعاد ـ بين ابي قيس والارض حتى التداخل الحياتي ـ الدموي بينهما ٠ ان ما بدا تطلبا عاطفيا يبحث ابو قيس عن تلبية له في الارض ، انداح في ردة فعل الارض الى ما يشبه العملية الجنسية التقليدية ، الا ان هذه العملية ذاتها لا تلبث ان تتكشف (عبر النقطتين التفسيريتين) عن علاقة ابعد غورا ، علاقة تكاد تكون رحمية فيما ينقل نبض الارض الى خلايا ابي قيس عبر ذرات الرمل المرتجة ، لكنها ليست رحمية بالمعنى الدقيق للكلمة : فالتداخل بين الطرفين يتحول الى اقرب ما يكون من الدمج والتوحيد في ذلك القلب المتعب الذي ينتشر خفقانه في الجسدين معا ٠ لذلك لا يعود عجبا ان يتعب ابو قيس ، تتكاثر همومه ، تثقل صدره ، تضعف قلبه ، كلما ابتعد عن هذه الارض فابتعاده هذا يحمل ضمنه تهديدا له بالموت في النهاية ٠

لكن هذا التهديد لا يأتيه فقط من انقطاع ملامسته للارض ـ من ابتعاد صدره عنها ـ انما يأتيه ايضا من انقطاع اخر : ابتعاده عن رائحتها ٠

فردا على ما كان يحاوله جاره في فلسطين من اقناع له بأن ما كان يسمعه حين كان يلصق صدره بالارض هو صوت قلبه ، كان ابو قيس يحتج رافضا وهو يتساءل : « والرائحة اذن ؟ تلك التي اذا تنشقها ماجت في جبينه ثم انهالت مهومة في عروقه ؟ ٠٠» (٣٧)

هذه الرائحة التي ترسم حركتها اتجاها مماثلا لذاك الذي رسمه نبض الارض ، وتنتهي مثله في عروق ابي قيس ، في دمه ، وانحاء جسمه ٠ ورغم هذا البعد الحياتي ـ الدموي في العلاقة بين ابي قيس ورائحة الارض ، فهو لا يحول دون بعد اخر متعدد الدلالات كما لاحظنا ذلك ايضا فيما يتعلق بنبض الارض : العلاقة الجنسية ـ العاطفية كما يبديها تعبير ابي قيس عن الاحساسات التي تثيرها فيه تلك الرائحة (« رائحة امرأة اغتسلت بالماء البارد وفرشت شعرها فوق وجهه وهو لم يزل رطيبا ٠٠ » (٣٧))

واذا كان هذا البعد الجنسي ـ العاطفي بسيطا وثانيا في خفقان الارض ، فانه هنا في رائحتها يصبح مركبا كثير الغنى والنفاذ واولا ، يسيطر على العلاقة الحياتية ـ الدموية ، فينطلق التعبير فيه متقابلا مع انطلاقته عن هذه العلاقة الاخيرة في مسألة خفقان الارض ٠ وفي اكتمال هذا التقابل كما يؤكده ابو قيس اخيرا في تعبيره عن هذا الخفقان : « كأنك تحمل بين كفيك الحانيتين عصفورا صغيرا ٠٠ » (٣٧) يكتمل مفهوم العلاقة الكلية لابي قيس بالارض في تشديده على بعد ثالث يجمع ذينك السابقين : البعد الوجداني ، واذا بهذه العلاقة الكلية بينهما تعلن على انها علاقة حياتية ـ جنسية ـ وجدانية اساسا ٠ وبالتالي يصبح الانقطاع فيها ، الابتعاد عن الارض تهديدا بالخيانة والعجز والموت ، وكلما كان الابتعاد اقوى ـ ملامسة ورائحة ـ كلما كان التهديد اشد وبالتالي تصبح اقوى النتائج ـ الموت ـ متوقعة ٠

الا ان الارض التي يلجأ اليها ابو قيس ليست ارضه بالمعنى الامتلاكي والوطني معا ٠ فهذه الاخيرة تركها منذ عشر سنوات ، والارض التي اتى يستلقي فوقها هي ارض الشط